والسبب فى فشلنا أمام أولئك الناس هو أننا نحاول النهوض بهم بالأساليب التقليدية: التعليم فى المدارس ، وقد فشلت المدارس معهم ، وأنا من بين أولئك الناس الذين بذلوا معظم أعمارهم فى مسائل التعليم ، ولم أتبين خطورة هذه المشكلة واستحالة الوصول إلى حل لها بالطرق العادية إلا فى السنوات الأخيرة..

والذى لفت نظرى إلى الطابع الخاص لأولئك الناس هم - بصفة خاصة - الشغالون وبعض العمال والفلاحين ، ومن شهور قليلة كنا نقترب بالسيارة من مبنى هيئة الكتاب على كورنيش النيل ، ومن خلفنا جاءت سيارة أوتوبيس منطلقة فى طريقها كالسهم المارق ويد السائق على الكلاكس يملأ به الجو ضجيجًا. والمنظر كان مفزعًا حقًا ، وقد سلم الله فانزوينا إلى طرف الشارع الأيمن ومرت السيارة الضخمة من جوارنا ، وقال لى صاحب سيارتنا - وكان يقودها - إن السائق الشيطان كان يضحك كأنه يلعب بالأتوبيس الرهيب وبأرواح الناس. ولم تنقض لحظات حتى وقعت الكارثة، فإن الأوتوبيس صدم سيارة نقل محملة آتية من الناحية الأخرى، ومات فى الكارثة سائق عربة النقل وتحطمت سيارته ، ومات ثلاثة من ركاب الأوتوبيس وجرح نحو عشرين.

واستفزنى المشهد المفجع فاقتربنا بسيارة صديقى حتى أصبح مشهد الحادث كله على مرأى منا. رأيت سائق سيارة الأوتوبيس ينزل بين يدى البوليس الذى تجمع عند الحادث كما هى العادة ، هذا الشيطان لم يصب إلا فى أنفه وركبته ، وكان الدم يسيل ورأيته يستغيث ويطلب لنفسه الإسعاف ، وبعد أن اطمأن إلى سلامة نفسه جلس على الأرض ثم انبطح على ظهره وتصنع الإغماء ظنًا منه أن هذا ينجيه من المسئولية. ولكن هذه الحيلة لم تنطل على واحد من ضباط البوليس شهد هذا الحادث واشترك فى عمليات الشرطة الخاصة به.. وانتظر الضابط حتى قام المرضون